الربيع العربي وشهر العسل على مواقع التواصل الاجتماعي

دكتور بروفسور يوس دي مول*

تم تصوير الربيع العربي على أنه ثورة الفايسبوك بسبب الدور الذي لعبته وسائل التواصل الاجتماعي فيه. ومع ذلك ، فإن السؤال هو ما إذا كان هذا الدور عظيمًا جدًا وكان التأثير إيجابيًا جدًا. ماذا تعلمنا الأفلام في مهرجان الفيلم العربي عن هذا؟

حقيقة أن مهرجان الفيلم العربي مخصص هذا العام لـ "الربيع العربي" ليس مفاجئًا بالنظر إلى الذكرى العاشرة لهذه الثورة. فالربيع العربي، الذي اندلع في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من ديسمبر 2010 إلى صيف 2012 وألهم ثورات ضد الأنظمة الاستبدادية في إيران (2011) والصين (2011) وأوكرانيا (2013)، من بين أمور أخرى، يعتبر حدثًا تاريخيًا مهمًا، ليس فقط بسبب تأثير الدومينو وسقوط الأنظمة الاستبدادية في تونس ومصر واليمن وليبيا ، ولكن أيضًا لأن وسائل التواصل الاجتماعي كانت ستلعب دورًا مهمًا فيه.

نظرًا لأن وسائل الإعلام في العديد من الدول

العربية تخضع لسيطرة الأنظمة الاستبدادية، فإن التأثير السياسي المحتمل لـ Twitter و Facebook - قبل خمس سنوات من الربيع العربي كان محدودا، لكنه ابتداءا من عام 2011 سيكون لديه بالفعل 50 مليون تغريدة يوميًا و 500 مليون مستخدم على التوالي في جميع أنحاء العالم، ومن الطبيعي أن تكون لدى هذه الوسائط عدد أكبر في البلدان ذات الصحافة الحرة والنقدية. في عام 2009 ، تم تقديم النسخة العربية من Facebook ، مما أدى إلى فتح جمهور محتمل يصل إلى 250 مليون شخص وإنشاء مساحة عامة على الإنترنت حيث يكون للنساء والأقليات العرقية والدينية صوت أيضًا.

على الرغم من أن اللغة العربية المحكية لها لهجات مختلفة على نطاق واسع، إلا أن اللغة العربية المكتوبة تعمل كلغة مشتركة ، وترسل أخبار الثورة ودعوات إلى العمل كالنار في الهشيم من خلال "العالم العربي". ونظرًا لأنه اعتبارًا من عام 2010 ، أصبح من الممكن أيضًا مشاهدة الصور ومقاطع الفيديو في Twitter فقد سهل ذلك الاستخدام ، حيث وصلت الرسالة الثورية أيضًا إلى الأشخاص المتعلمين رقميًا وذوي الأمية المنخفضة.

ظهرت مجموعة كبيرة من المنشورات على مدار العقد الماضي حول تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الربيع العربي، بما في ذلك وسائل الإعلام الاجتماعية Carvins Distant Witness ، والربيع العربي وثورة الصحافة (2012)، والموجة الرابعة "هوارد وحسين" للديمقراطية ؟ الإعلام الرقمي والربيع العربي (2013)، الربيع العربي على "الجمالي أونلاين". وسائل التواصل الاجتماعي والتغيير الأساسي (2015) و Snowdons The People لم يكونوا مجرد صورة. الفيديو العامي بعد الربيع العربي (2020). لا يمكن إنكار أن

وسائل التواصل الاجتماعي لعبت دورًا في تنظيم وتنسيق ونشر الاحتجاجات في جميع أنحاء العالم ، والتي تمت الإشارة إليها بالتالي باسم "ثورة الفايسبوك" أو "انتفاضة تويتر".
ومع ذلك، لم يكن هناك أي ارتباط تقريبًا بين مدى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في مختلف البلدان العربية والاحتجاجات خارج الإنترنت. على سبيل المثال ، ظلت الاضطرابات في الإمارات العربية المتحدة وقطر ، البلدان التي تتمتع بأعلى اتصال رقمي ، محدودة ، بينما في اليمن وليبيا ، البلدان الأقل اتصالاً ، تم الإطاحة بالديكتاتوريين. وعلى الرغم من حظر وسائل التواصل الاجتماعي في مصر فور بدء الاحتجاجات وبعد أيام قليلة من إغلاق الإنترنت بالكامل تقريبًا ، غادر مبارك الميدان بعد أسابيع قليلة فقط.
من الواضح أن عوامل مهمة أخرى كانت مسؤولة. وشعار "خبز، حرية، عدالة اجتماعية" الذي سمع في كثير من الأماكن يلخص أهمها. وقد لعب حجم الفقر والجوع والبطالة ودرجة القهر، التي تختلف من بلد إلى آخر، دورًا حاسمًا، لكن السبب الأكثر خطورة كان بلا شك الظلم الاجتماعي والفساد المنتشر في كل مكان. لا تكمن المشكلة في أن النظام فاسد فقط، بل إن الفساد هو النظام الذي يحاول الديكتاتوريون في العالم العربي من خلاله ترسيخ سلطتهم. عند القيام بذلك، يتم تفضيل مجموعة صغيرة من أفراد العشيرة والمقربين بشدة على حساب ازدهار وحرية معظم السكان.
طوال هذا، هناك أيضًا تناقضات بين العرب والجماعات العرقية الأخرى مثل الأكراد وبين سكان المدن الأكثر علمانية وسكان الريف المحافظين المتدينين. ناهيك عن التنافس الطائفي بين السنة والشيعة والعلويين والتمييز ضد الأقليات الدينية غير المسلمة. كل هذا شكل برميل بارود، وكان ، حتى قبل ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، قد أدى بانتظام إلى احتجاجات حاشدة وثورات واضطرابات. خلال الربيع العربي ، كانت وسائل التواصل الاجتماعي بمثابة الفتيل الذي اندلع في ديسمبر 2010 من خلال التضحية بالنفس اليائسة لبائع الفاكهة محمد البوعزيزي في تونس.
الأفلام في المهرجان هي عينة من المشاكل المذكورة. فيلم "بعد الموقعة " (مصر، 2012) للمخرج يسري نصر اللّه تدور أحداثه في القاهرة في وقت احتجاجات ميدان التحرير. في الفيلم ، ريم ، امرأة علمانية شابة من الطبقة الوسطى المزدهرة ، والتي ، مع صديقاتها ، تحتج بشكل أساسي على الافتقار إلى الحرية ، تقيم صداقة عاطفية مع الفارس محمود الفقير، الذي ينقل السياح إلى الأهرامات، وكان من أتباع مبارك ، الذين حرضوا على مهاجمة الثوار في الميدان ، وكانوا مسؤولين عن بقاء السائحين بعيدا ، وهو أمر كان سببا في عدم قدرة محمود على إطعام أسرته وحصانه. وتحت تأثير ريم، سينضم محمود إلى الاحتجاجات، الأمر الذي سيحمل بالنسبة له نتائج جد مأساوية.
يبدو أن هذه النتيجة ترمز إلى الأحداث التي تلت سقوط مبارك. لقد جاءت الانتخابات الديمقراطية التي جرت بعد الثورة بالإسلام السياسي إلى السلطة، حيث فاز القيادي في الإخوان المسلمين محمد مرسي بالرئاسة. ولم يكن هذا ما قاتل معظم المتمردين من أجله. فيلم "الضيف" (مصر ، 2018) للمخرج هادي الباجوري يظهر الرعب النابع من الإسلام

السياسي على شكل دراما عائلية. محور الفيلم هو الأستاذ الليبرالي ، الذي تعود ابنته إلى المنزل مع صديق ، والذي تبين أنه مسلم متطرف يزور الأسرة بهدف إرهابي. تستذكر الخاتمة الدموية للفيلم الإنهاء العنيف لحكومة مرسي من قبل الجيش بقيادة اللواء السيسي ، الأمر الذي بشر ببداية الاستبداد الحالي ، الذي يعتبر حكم مبارك قياسا به شبه إنساني. الفيلم الوثائقي "كما لو أننا نقبض على كوبرا" Comme si nous attrapions un co-bra (سوريا ، 2012) للمخرجة السورية هالة العبد اللّه المقيمة في باريس ، والذي يتكون من سلسلة مقابلات مع رسامي كاريكاتير وكتاب في مصر وسوريا، يوضح أن الفسحة الهشة في عهد مبارك والأسد التي كانت متاحة في الصحف للنقد المستتر، ما كان أحد يتوقع أن تتوسع إلى ثورات الربيع العربي، حيث كان أقصى المتخيل أن تنتهي بشكل غير متوقع بالفصل أو السجن أو ما هو أسوأ قليلا. يقارن رسام الكاريكاتير علي فرزات ، الذي تعرض للضرب على يد عناصر من قوات الأمن السورية بعد فترة وجيزة من المقابلة ، انتقاد دكتاتور في الفيلم بالقبض على كوبرا. إذا أخطأت في الحكم على سلوكه ، فقد يقتلك.

لسوء الحظ، فقد أعقب الربيع العربي شتاء جليدي في جميع البلدان تقريبًا، إذا لم يكن من خلال ديكتاتورية أكثر وحشية، كما هو الحال في مصر، فقد كان من خلال حرب أهلية مدمرة، كما هو الحال في سوريا واليمن وليبيا. تظهر "فتوى" (تونس، 2018) لمحمود بن محمود أنه حتى عندما أسفر الربيع بشكل استثنائي عن استعادة الديمقراطية، كما هو الحال في تونس، فإن هذا لم يضمن نهاية سعيدة. في الفيلم، يعود المسلم المتدين الليبرالي إبراهيم، الذي يعيش ويعمل في باريس بعد طلاقه من زوجته الكاتبة الملحدة المتشددة، إلى تونس ليدفن ابنهما الذي توفي في حادث دراجة نارية. إنه يشعر بالفزع عندما اكتشف أن السلفيين المتطرفين قد استخدموا الحرية المكتشفة حديثًا في تونس لتجنيد الشباب للجهاد ولإرهاب المسلمين العلمانيين وغير المؤمنين. ويبدو أيضًا أن ابنه قد وقع في أيدي السلفيين، وهذا الاكتشاف كان له عواقب وخيمة على إبراهيم أيضًا.

يمكن أن يكون الأمر أسوأ مما نتوقع بكثير. لقد أثار إنشاء الدولة الإسلامية في العراق وسوريا في أعقاب الربيع العربي أعمال عنف وحشية ومذابح ممنهجة للإيزيديين والمسيحيين والأقليات الدينية الأخرى. لقد أغرى مفكرة تونسية ما أن تندب حظ البلاد التعيس عندما صرخت "أرجوكم أعيدوا لنا ديكتاتورياتنا." ولكن بعد ذلك يُنسى أنه في السبعينيات من القرن الماضي، أشادت الأمم المتحدة بأحزاب البعث الاشتراكية والعلمانية والقومية العربية، بقيادة صدام حسين والأسد الأب، لمساهمتها من بين أمور أخرى، في تحرير المرأة وتخليصها من براثن الأمية. إن مأساة الديكتاتوريين في العالم العربي تكمن في أنهم بسبب قاعدة سلطتهم الضيقة (التي تتكون أساسًا من الأسرة أو العشيرة أو المجموعة العرقية أو الدينية) فإنه عادة ما ينتهي بهم الأمر حتماً إلى تسليم البلاد إلى الإرهاب.

فيلم الفتوى مثير للاهتمام أيضًا لأنه يسلط الضوء بشكل عرضي على تأثير الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي على انتشار الإسلام السياسي وتجنيد الإرهابيين. تتضح حقيقة أن وسائل التواصل الاجتماعي لا

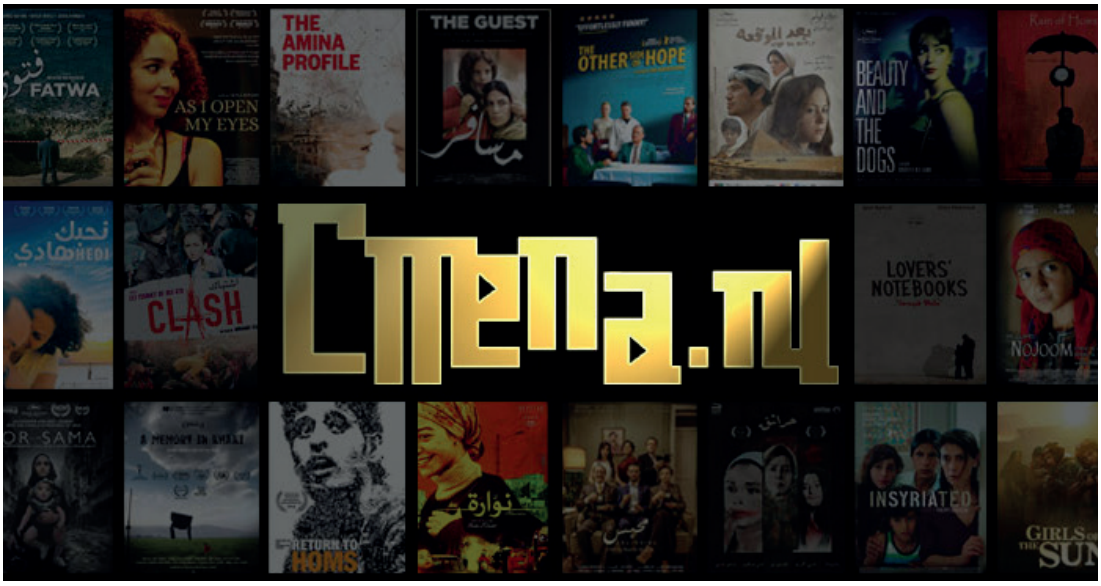

يمكنها فقط الترويج للديمقراطية بل يمكن أن تقوضها أيضًا، كما هو أنشطة الجيش السوري الإلكتروني، الذي يتشكل من مجموعة من المتسللين الذين يدعمون الأسد ويقومون بقرصنة رسائل البريد الالكتروني والترويج لبرامج ضارة وتنفيذ عمليات الاحتيال في المجال الافتراضي عبر إنشاء مواقع مغشوشة من قبيل موقع الربيع العربي وبرنامج DoS.

يُظهر "ملف أمينة الشخصي" لصوفي ديراسبي (كندا، 2015) جانبًا مظلمًا آخر من وسائل التواصل الاجتماعي. الفيلم الوثائقي يدور حول شابة سورية أمريكية تدعى أمينة عراف، كانت قبل فترة وجيزة من بدء الربيع العربي مسؤولة عن مدونة "فتاة مثليّة في دمشق" ، تتحدث فيها عن حياتها كفتاة مثلية في سوريا. إذ بدأت في كتابة رواية شاهد عيان أثناء اندلاع الاحتجاجات، حيث ستتحول مدونتها على الإنترنت إلى مدونة مشهورة، وستتم مناقشتها في العديد من الصحف الدولية.

عندما توقفت فجأة عن التدوين بعد بضعة أشهر وأخبرت ابنة أختها باختطافها، سيبدأ بحث دولي عن أمينة، وسيكشف التحقيق أن الصورة على مدونة أمينة هي لامرأة تعيش في لندن، وسيُلقى باللوم في البداية على حقيقة أنه من الخطر في سوريا نشر صورة حقيقية لنفسك على صفحة ملفك الشخصي. الصحفي الأمريكي آندي كارفن ، الذي كان يشك في عدم قدرته على العثور على أي شخص قد رأى أمينة أو تحدث إليها ، يكشف بعد بعض الأعمال البوليسية - الموصوفة في كتابه المذكور أعلاه - أن المدونة خدعة أنتجها أمريكي يدرس في اسكتلندا اسمه Tom Mac-Masters ، الذي حاول حظه ، بعد أن فشل مهنته كروائي، في إنشاء شخصية خيالية على الإنترنت وقد صُدم بشعبية Amina في جميع أنحاء العالم، وكان يأمل في إنهاء الضجة مع اختطافها.

يتابع الفيلم الوثائقي ساندرا باجاريا، وهي

امـرأة فرنسـية تعيش في كندا لها مراسـلات عاطفية مع "أمينـة" وتحاول جاهدة معرفة ما حدث لها بعد اختفائها. ينتهي الفيلم الوثائقي بمواجهة غير مريحة بين باجاريا وماكماسترز، حيـث يدعـي الأخيـر أنـه ابتكـر الشـخصية الخياليـة لتحفيز مناقشـة الأحـداث الحقيقية في الشـرق الأوسط. بغض النظر عما إذا كان هذا هو الدافع الفعلي لتخيلاته الاستشـراقية والجنسـية (والتي ، من سـخرية القدر ، أثارت أيضًا ردودًا من رجال آخرين يتظاهرون بأنهم مثليات على وسائل التواصل الاجتماعي) ، فإن مدونة أمينة كان لها تأثير معاكس. لقد قدمت لنظام الأسد فرصة ممتازة لشن هجوم دعائي ، معتبـرة "أمينـة" نموذجًا للمحاولـة الغربية للتضليل والأخبار الكاذبة لتعطيل سوريا.

فيلـم "عيـار نـاري" (مصـر، 2018) لكريـم الشـناوي يؤكد أن وسـائل الإعـلام التقليدية يمكن أن تنتهك الحقيقة. الموضوع الرئيسـي في هذه الجريمة هو مقتل الشـاب علاء خلال مظاهرة بميدان لاظوغلي بالقاهرة. وبحسـب الأسرة والصحافة الشـعبية والرأي العام، فقد قُتل برصـاص قناص وبالتالي شـهيدًا ، لكن اختصاصي إدمان الكحول ياسـين يكتشـف أن إطـلاق النار على علاء كان من مسـافة قريبة ويضعهـا في تقرير التشـريح ، الأمر الذي أثار استياء رئيسه كثيرا ويدفعه إلى أن يطلب منه تزويـر التقريـر. الصحفية مهـا ، التي تحصل على نسـخة مـن التقرير عن طريـق موظف فاسـد في المستشـفى ، تحاول بعد ذلك نشر الحقيقة مع ياسـين ، الأمر الذي يفشل ويؤدي إلـى فصلهما. مشـاهد الفيلم ، الـذي يضلله المخـرج باسـتمرار حتـى نهاية الفيلـم ، يقع أيضًا ضحية الخداع المتعمد.

بالإضافـة إلى الإشـادة بالجو المذكّـر بالفيلم

والتمثيل الخفي للفيلم ، تعرض المخرج أيضًا لانتقادات واسعة لتقويض الحقيقة حول الاحتجاجات البطولية خلال الربيع العربي. ما يبدو للوهلة الأولى دراما سياسية يتبين أنه مأساة عائلية. هنا لا يصبح الشخصي سياسيًا، لكن السياسة شخصية للغاية. وعلى الرغم من طلبه الصريح أيضًا اعتبار فيلم "عيار ناري" فيلمًا غير سياسي، فلن يكون الشناوي غير استثناء في مهرجان الفيلم العربي، حيث كانت بقية الأفلام المبرمجة تقريبًا بلا استثناء مشحونة سياسيًا هذا العام.

على خلفية أفلام (Moterkruiser Potemkin 1926) لسيرجي آيزنشتاين و(Triumf des Willens 1935) لـ Riefenstahl ، المتطورة سينمائيًا والمعارض سياسيًا ، كتب الفيلسوف الألماني والتر بنيامين في عام 1936 تحت عنوان عصر استنساخه الميكانيكي '(1936) مقال ذو رؤية عن الآثار السياسية لوسائل الإعلام القابلة للتكرار ميكانيكيًا مثل التصوير الفوتوغرافي والأفلام. إن هذه الأعمال الفنية الفريدة تتمتع بقيمة مقدسة بسبب طابعها الفريد - لا توجد سوى لوحة موناليزا واحدة - وفقًا لبنجامين ، حيث تكمن القوة السياسية للنسخ الميكانيكية في قيمتها المعروضة: فظهورها الهائل في وسائل الإعلام يسمح لها باللعب مع الجماهير. قبل خمسة وأربعين عامًا من تعيين الممثل رونالد ريغان رئيسًا للولايات المتحدة ، توقع بنيامين أن يتم انتخاب السياسيين أمام الكاميرا في المستقبل.

لكن مع ظهور الكمبيوتر ووسائل التواصل الاجتماعي، دخلنا حقبة جديدة لم يستطع بنجامين توقعها ، عصر إعادة التركيب الرقمي. بفضل قيمة التلاعب المتأصلة ، يمكن أخذ عينات من أي "حقيقة" مرغوبة معًا. لم يقتصر الأمر على قيام الجيش السوري الإلكتروني و MacMasters بمدونة Amina بفعل ذلك فحسب، ولكن في الآونة الأخيرة قام المتصيدون الروس و Cam-bridge Analytics وخوارزميات Facebook و Twitter بفعل ذلك ، ومع تغريدة ترامب القائمة على الأكاذيب الصارخة ومقاطع الفيديو المزيفة السياسية العميقة، يبدو أن القيمة وصلت إلى نقطة منخفضة جدا. بالإضافة إلى ذلك ، في مقاطعة شينجيانغ الصينية، وفي تقليد متزايد أيضًا في الدول العربية مثل الإمارات العربية المتحدة ، يتم استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بشكل متزايد لإنشاء دولة مراقبة رقمية لقمع السكان بشكل أكثر كفاءة. وبالإضافة إلى الصين، يزود العالم الغربي بسخاء المعدات اللازمة لذلك. إنها بالتأكيد ليست كلها كئيبة ومخيبة، فقد أظهرت احتجاجات #MeToo و #BlackLivesMatter أنه لا يزال من الممكن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لمحاربة الظلم. لكن من الواضح أنه بعد عشر سنوات من الربيع العربي، انتهت بالتأكيد فترة شهر العسل على وسائل التواصل الاجتماعي.

*** دكتور بروفسور يوس دي مول كاتب هولندي و بروفسور في الفلسفة بجامعة اراسموس روتردام الهولندية و بروفسور في جامعة الوطنية بطوكيو في اليابان.**